

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

- (115) الجانب، وتكرار الدعوة، فعبر عنهم نوح: (وَ مَكَرُّوا مَكْرًا كُبْرًا *) (1)، حتى ضاق بهم ذرعاً طيلة هذه المدّة الطويلة التي بلغت ألف سنة إلا خمسين عاماً، فما أجدى معهم الوعظ ولا الارشاد ولا حسن التأنّي الذي جبل عليه نوح عليه السلام: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِ مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِر *) (2)، فأمره تعالى بصنع السفينة، وضرب له موعداً فيها بمجيء الأمر لدى فوران التنور، فكان ذلك علامة له، وفيه توجيه وإخبار، توجيه فيمن يحمل معه في السفينة، وإخبار بهلاك الذين سبق عليهم القول، قال تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَعَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيرُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الْكَافِرِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ *) (3). وكان صنع الفلك بعناية من الله، وبمرئىء منه، وفي ظل مراقبته القصوى، ورعايته الألهية المعهودة مع الأنبياء، وكان قومه يعجبون من هذا الصنع وبهذه السعة الكبيرة، ويبدو أنهم بمنأى عن الحياة البحرية، وإستقرارهم في مناخ بدوي لا يعدو القوافل الساذجة البدائية: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنِّي سَخِرْتُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ *) (4). ونفذ نوح ما أوحى الله به إليه، فأسلك فيها من كل زوجين اثنين ومعه القلائد من المؤمنين، وأخبرهم بمصيرهم، وهذا الأسلاك كما هو ظاهر القرآن ينبئ أن الطوفان شامل للكفرة الأرضية آنذاك، فأراد الله إستمرارية الحياة للكائنات ومسيرة الحضارة في الحياة، ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت الحياة باقية في جزء من الأرض، كما هي فانية في جزء آخر، لهذا فذهب بأن الطوفان كان عالمياً، وصدر الأمر الإلهي الصّارم: (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمَرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ *) (5). (1) نوح: 22. (2) القمر: 10. (3) المؤمنون: 27. (4) هود: 38. (5) القمر: 11 - 12.